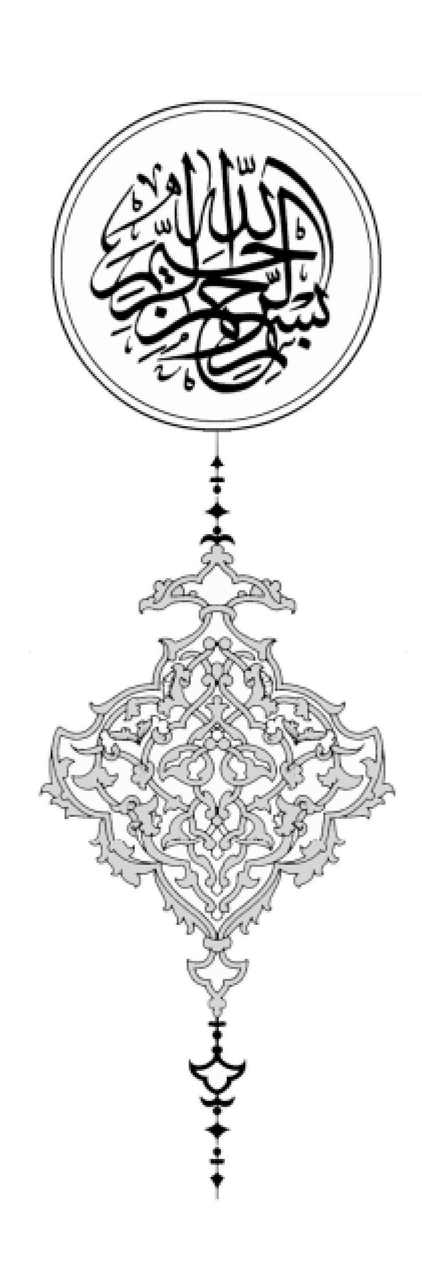


تأملات قرآنية
سورة الكهف
بقلم: محمد احميمد

البريد الإلكتروني:
mohammedhmimed10@gmail.com
رقم الهاتف:
0688570590



تأملات قرآنية

سورة الكهف

سورة الكهف مكية، سميت بهذا الإسم لذكرها قصة أهل الكهف، موضوعها إيماني إصلاحي، فيها ذكر عداء الكافرين لدعوة النبي (ﷺ)، وتكذيبهم القرآن، وإنكارهم البعث، وحقيقة التوحيد والشرك، وجاء فيها ذكر مشاهد يوم القيامة، إنذارا للكافرين.

تناولت السورة قصصا متنوعة تبين أحداث وأحوال ومواقف مر بها أصحابها خلال هذه القصص، وكل ذلك لأخذ العبر، فهذه القصص في مجملها تدعو إلى الصبر على الإيمان رغم الاضطهاد، وتبين مصير كفر النعمة، وكيف يكون نهج طلب العلم، وضرورة الصبر عليه، والتواضع له، والخضوع لنتائجه العملية، وأن الإنسان مهما اكتسب من علم يظل جاهلا بكثير من حقائقه الخفية، وهو في حاجة دائما إلى من يعلمه، فلا يقول إنه قد علم كل شيء، ومن تعلم علما غابت عنه علوم أخرى، فهناك تخصصات علمية كل يؤتى منها حسب استعداداته، فالإنسان في هذه الحياة يتعلم دائما، وهي تدعو إلى الإصلاح في الأرض والقضاء على الفساد والحكم بالعدل.

1- قال الله تعالى: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا (1) قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (2) مَّاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا (3) وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا (4)**﴾ [الكهف:1-4]، كان نزول القرآن على النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) رحمة؛ لذلك

يجب على الناس حمد هذه النعمة، وقد جعله مستقيما لا عوج فيه، مبشرا به ومنذرا، حتى تصح عقيدة الناس ويستقيم سلوكهم وتستقيم حياتهم.

2- قال الله تعالى: ﴿**مَّا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا**﴾[الكهف:5]، نسبة الولد إلى الله سبحانه كلمة كبيرة تخرج من الأفواه، ولِكبرها تكاد السماوات يتفطرن منها وتنشق الأرض وتهد الجبال من هولها، كما قال سبحانه: ﴿**وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا (88) لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (89) تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (90) أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا (91)**﴾[مريم:88-91].

3- قال الله تعالى: ﴿**إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا (7) وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا (8)**﴾[الكهف:7-8]، الزينة التي جعلها الله على الأرض هي لاختبار عمل الإنسان في أن يكون صالحا أو فاسدا، وأكبر زينة على الأرض هي المال بأصنافه، والأبناء، والنساء، كما قال تعالى: ﴿**الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا**﴾[الكهف:46]، وقال عز وجل: ﴿**زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ**﴾[آل عمران:14]، وهذه حقيقة الحياة، وهي ليست دائمة، بل إلى زوال وفناء، وقد ضرب الله مثلا لذلك فقال: ﴿**إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ**

وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[يونس:24].

4- قال الله تعالى: ﴿**أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا**﴾[الكهف:9]، ليس لبث أهل الكهف في كهفهم ثلاث مائة وتسع سنين بعجيب، فما هو مبثوث في هذا الكون من آيات أعجب منه، حتى أن الذين يستعظمون كيف لبث هؤلاء في الكهف كل هذه السنين، وأن ذلك مناقض للعلم، لا ينظرون إلى ما هو أعظم في هذا الكون من ذلك الذي استكبروه في أذهانهم، ولكنه العمى يا صاحبي يحجب معرفة الحقائق، قال سبحانه: ﴿**أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ**﴾[الحج:46].

5- قال الله تعالى: ﴿**إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا**﴾[الكهف:10]، عند الفتن يجب الإيواء أو الهجرة إلى ما يضمن بقاء المبدأ، سواء كان المبدأ عقديا أو مرتبطا بالقسط والعدل، ولا يجوز أن يبقى صاحب العقيدة والمبدأ في المجتمع الذي يُضطهد ويُستضعف فيه؛ لأن ذلك من شأنه أن يقلب مبادئه العقدية والعدلية إلى ما يحقق الظلم، فالمستضعف مضطر إلى ممارسة ما تفرضه عليه سلطة ذلك المجتمع بالقوة، قال عز وجل: ﴿**إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا**﴾[الكهف:20]، ولذلك وجبت هجرته، قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ ۚ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ۚ فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا**

(97) **إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا** (98) **فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا** (99)﴾[النساء:97-99]، والكهف في الآية حقيقة مكانية، دالة على وجوب الاعتزال والهروب من الفتنة والاضطهاد في الدين والمبدأ الحق، قال عز وجل: ﴿**وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا**﴾[الكهف:16].

6- قال الله تعالى: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾[الكهف:11]، يذهب أصحاب الإعجاز العلمي في ذكر الآية الضرب على الآذان بدل الأعين إلى تقرير كذا وكذا مما جاء به العلم في حاسة السمع، فيجعلون من الآية دلالة على الإعجاز العلمي، وهي في الحقيقة لا تخرج في هذا عن الدلالة الطبيعية في فهم الظاهرة، فقد ذكرت الآية الضرب على الآذان وليس الأعين وهي التي تغلق عند النوم في العادة فيمكن تعطيل حاسة البصر، لكنها ذكرت الآذان لأنها محل السمع وعن طريقه يكون الإيقاظ في الغالب الطبيعي، لذلك يضع الناس صوت المنبه لإيقاظهم، وهذا هو المعلوم عند الناس جميعا، وبذلك كان البيان.

7- قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾[الكهف:12]، قال تعالى: بعثناهم ولم يقل أيقظناهم أو ما يدل على اليقظة بعد النوم، لأن الآية جاءت دالة على مسألة إنكار البعث، مما يفيد أن العصر الذي كان فيه أهل الكهف كانت أكبر مسألة مثارة فيه هي إنكار البعث، فجعل الله أهل الكهف آية لهم على البعث والنشور،

قال عز وجل: ﴿**وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا**﴾[الكهف:21].

8- قال الله تعالى: ﴿**نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى**﴾[الكهف:13]، قوله تعالى: ﴿**إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى**﴾ يدل على أن الإيمان يكون من الإنسان والهداية من الله، قال عز وجل في شأن الإيمان: ﴿**فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾[التغابن:8]، **وقال سبحانه في شأن الهداية:** ﴿**اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ**﴾[الشورى:13]، وليس كمن ينسب لله إرادة الكفر للإنسان، وأن الله يخلق الكفر فيه، فكيف يكون ذلك وهو سبحانه ينهى عن الكفر ويعذب عليه، فهل يعذب الله إنسانا خلق فيه الكفر وأراده أن يكون كافرا؟ سبحانه وتعالى عما يصفون.

9- قال الله تعالى: ﴿**هَٰؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا**﴾[الكهف:15]، الاعتقاد لا يقوم إلا بدليل؛ سواء على وجود الله أو غيره، ومن لم يقِم دليلا على وجود آلهة أخرى فهو كاذب، وهذا ينسحب على الاستدلال على عدم وجود الله أيضا، فالذي لا يقيم دليلا على النفي فهو كاذب.

10- قال الله تعالى: ﴿**وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا**﴾[الكهف:16]، في الاعتزال والهجرة رحمة وتهيئة للظروف من قبل الله تعالى، الرحيم بعباده، المدبر لأمورهم.

11- قال الله تعالى: ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾[الكهف:17]، المؤمن إذا اضطهد من أجل إيمانه وقضيته فإن عناية الله به ورعايته له تناله حيثما ذهب، وحيثما استقر، ويهئ له من الأسباب الكونية والاجتماعية ما يساعده على البقاء، إلا أن يريد الله نهايته فيخلصه مما هو فيه؛ ويقبضه إليه ويدخله في رحمته.

12- قال الله تعالى: ﴿إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾[الكهف:21]، هذا دليل على جواز البناء على القبور والصلاة في مساجد فيها قبور؛ خلافا للمحرمين الذين تشبثوا بأدلة حديثية لا يوحي ظاهرها إلى تحريم الصلاة في مساجد فيها قبور، وإنما يفهم منها السجود للقبر كغاية ما يريده المصلي أو الساجد، وهذا غير متحقق عند المسلمين الذين يسجدون لله تعالى لا للقبور وأصحابها، فلو كانت الصلاة في مساجد فيها قبور محرمة لما ذكر سبحانه وتعالى المسجد في هذه الآية دون أن يذكر حرمة السجود فيه، وقطعا هذا المسجد المذكور في الآية بني للصلاة؛ وإلا لما جاز إطلاق لفظ المسجد عليه، وإن قيل: إن ذلك كان مباحا في شرع من قبلنا، قلت: إن ذلك يحتاج إلى علة إباحته في شرع من قبلنا وتحريمه في شرعنا، فإن قالوا: إن تلك الأمة كانت أكثر أمانا من الشرك من هذه الأمة، قلت: بل إن النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) بعث للعالمين وهذا يقتضي أن شريعته أكثر تطورا ومخاطبة للعقل لأنها آخر الشرائع وهي آخذه بعين الاعتبار تطور البشرية فكريا من بعد النبي إلى قيام الساعة، فيقتضي هذا أن مخاطبة الشريعة للإنسان البدائي ليس كمخاطبتها للإنسان المتطور، فلا يصح أن تكون تلك الأمة أكثر تطورا فكريا من أمة النبي (صلى الله عليه وسلم)

لذلك تكون إباحة الصلاة في مساجد فيها قبور لهذه الأمة هي أكثر أمانا من الشرك من تلك الأمة.

13- قال الله تعالى: ﴿**سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا**﴾[الكهف:22]، الغاية ليس معرفة عددهم، وإنما الاعتبار بقصتهم، وغاية لبثهم في الكهف، وبموقفهم تجاه قضيتهم الإيمانية.

14- قال الله تعالى: ﴿**وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا**﴾[الكهف:27]، كلام الله لا يتغير بالزمان والمكان والنُّظم والأعراف، فهو ثابت حكما وعملا لمن أراد الهداية، وهذا خلاف كلام التاريخانيين والمقاصديين الذين عطلوا أحكام الله وقالوا بتاريخية النصوص والأحكام، وكذلك المقاصديين الذين يقولون بمقاصد النصوص؛ وهم يعنون بها تعطيل الوسائل المفضية إلى تحقيق تلك المقاصد؛ كالحدود والفرائض العملية التي جاءت بها الشريعة.

15- قال الله تعالى: ﴿**وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا**﴾[الكهف:28]، يستفاد من الآية مجموعة من القيم، منها ذكر الله، ومؤاخاة الصالحين من المؤمنين، والإعراض عن الشهوات والملذات ومتع الدنيا، وعدم طاعة المخالف للمبدأ الحق سواء كانا فردا أو نظاما.

16- قال الله تعالى: ﴿**وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا**﴾[الكهف:29]، هذه الآية لا يمكن الاستدلال بها على حرية الاعتقاد لأنها لا تفيد ذلك؛ بل تحذر من يكفر بالله وتتوعده نار جهنم يوم الآخرة.

17- قال الله تعالى: ﴿**وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا (32) كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا (33) وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا (34) وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا (35) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا (36) قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا (37) لَّٰكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا (38) وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا (39) فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا (40) أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا (41) وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا (42) وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا (43) هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا (44)**﴾[الكهف:32-44]، هذا نموذج لرجلين أحدهما غني متكبر، والآخر فقير قنوع بما آتاه الله، راض بقضائه وقدره، وهو أعقل من

الأول، وأكثر إيمانا منه، كما يستفاد من القصة أنه لا يجوز افتخار الأغنياء بالأموال والنعم على الفقراء الذين لا يجدون رغد العيش، فإن ذلك يألمهم؛ وقد يكون ذلك سبب زوال النعمة، كما جاء ذكره: ﴿**وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا (39) فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا (40) أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا (41) وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا (42)**﴾، كما أن القصة تبين أن سبب هلاك الملك هو الترف مع عدم شكر النعمة.

وقوله: ﴿وَمَا **أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا**﴾ تشخص حال ونفس كثير من المترفين؛ الذين يأمنون مكر الله، فنفسهم مترددة بين الكفر والإيمان، فهم يطلبون الدنيا طولا وعرضا على رجاء أنها إذا كانت الآخرة حقيقة أن يتمتعوا فيها كذلك كما يتمتعون في الدنيا.

18- قال الله تعالى: ﴿**وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا**﴾[الكهف:45]، ضرب الله مثل الحياة الدنيا بالدورة الطبيعية للنبات، لتشابههما في النمو والخضرة والإزهار، ثم الذبول والزوال، قال عز وجل: ﴿**إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ**

يَتَفَكَّرُونَ﴾[يونس:24]، فالحياة الدنيا مثل فصل الربيع تستمتع فيه بنباته وتشم عبق أزهاره، ثم تراه قد ذبل كل شئ فيه وزال، وانقضى الفصل، وبدأ فصل آخر، وهكذا الإنسان في هذه الحياة، وبعد الممات، فهو أيضا كالنبات ينمو ويذبل ويبعث من جديد عندما يريد الله ذلك، قال سبحانه: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ النُّشُورُ﴾[فاطر:9].

19- قال الله تعالى: ﴿**الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا**﴾[الكهف:46]، المال بأصنافه والأبناء من زينة الحياة الدنيا التي جعلها الله على الأرض ليبتلي لإنسان ويرى عمله فيها، ثم يجعلها حطاما كأنها لم تكن من قبل، قال عز وجل: ﴿إِنَّا **جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا (7) وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا (8)**﴾[الكهف:7-8]، فبالإضافة إلى زينة المال والأبناء؛ هناك زينة النساء، وبهذا تكون أكبر زينة على الأرض هي المال بأصنافه، والأبناء، والنساء، كما قال تعالى: ﴿**زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ**﴾[آل عمران:14]، وكل ذلك ابتلاء من الله ليرى عمل الإنسان، هل يكون حسنا أم سيئا.

20- قال الله تعالى: ﴿وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا﴾[الكهف:48]، قوله: ﴿**لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ**﴾ أي أعدناكم إلينا كما خلقناكم أول مرة، فليس هذا بمستحيل في حق الله الذي خلق الإنسان بعد أن لم يكن شيئا مذكورا، قال تعالى: ﴿**هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ**

الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾[الإنسان:1]، وقوله: **﴿بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا﴾**، ذلك بإنكارهم للبعث، وزعمهم عدم الانبعاث من جديد، وجملة القول في الآية إنهم استعظموا كيف يبعث الله الإنسان بعد أن أصبحت عظامه رميما، ولم يتفكروا أن الله تعالى أنشأها من العدم، فكيف وهي رميم، قال عز وجل: **﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ۖ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (78) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (79)﴾**[يس:78-79].

21- قال الله تعالى: **﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ۚ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾**[الكهف:49]، هذا كتاب تحصى فيه أعمال الناس التي عملوها، وربما يكون موثقا صوتا وصورة، يوثق الأعمال عن طريق التسجيل، وهذا أدعى إلى التذكر، وهذه الأعمال التي عملوها قد استنسخها الله لهم في الدنيا عن طريق الملائكة، قال عز وجل: **﴿هَٰذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾**[الجاثية:29].

22- قال الله تعالى: **﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ ۚ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾**[الكهف:50]، أمرهم بالسجود تطهيرا لهم من صفة الكِبر، وإعلاء لمكانة آدم على كثير من الخلق، فكان سجود الملائكة تعبيرا عن الخضوع لله والتواضع لآدم، وكان عدم سجود إبليس دليلا على الكِبر والحسد الذي وجده في نفسه، قال عز وجل: **﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ**

الْكَافِرِينَ﴾[البقرة:34]، وهذا أول ذنب عصي الله به، لذلك كان صفة الكبر من أكبر الكبائر، يبغضها الله في أحد غيره.

وفي الآية دليل على أن إبليس من الجن وليس من الملائكة، وأنه أول مخلوق من الجن، وله ذرية، وهو أبو الجن، كما أن آدم أبو البشر.

23- قال الله تعالى: ﴿**وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا**﴾[الكهف:52]، وهذه قمة المهانة، حين يدعو الناس يوم الآخرة ما كانوا يعبدون في الدنيا، يدعونهم فلا يستجيبون دعاءهم، وقد كانوا لا يستجيون دعاءهم في الدنيا فكيف يستجيبون دعاءهم وهم في الآخرة، وكان الناس في الدنيا يُدعون إلى عبادة الله الذي لا يستحق العبادة ولا الدعاء غيره، فهو القريب منهم، المجيب دعواتهم، قال سبحانه وتعالى: ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ**﴾[البقرة:186].

24- قال الله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا**﴾[الكهف:54]، صرّف لهم في القرآن من كل مثل ليذَّكّروا فيحصل لهم الإيمان، لكنهم لم يحصل لهم إلا النفور منه، قال عز وجل: ﴿**وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا**﴾[الإسراء:41]. وهم يجادلون في القرآن يريدون أن يغلبوه، وثني الناس عن الإيمان به؛ لأنه يدعو إلى غير ما تهوى أنفسهم، وترغب فيه شهواتهم، فيستهزئون بآياته، قال سبحانه: ﴿**وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ۖ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا**﴾[الكهف:56].

25- قال الله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا﴾[الكهف:55]، وذلك لأنهم لا يؤمنون إلا إذا رأوا العذاب نازلا بهم، فلا ينفع إيمان عند ذلك، هكذا هو الإنسان، ما دام في فسحة من أجله فإنه يرغب في الاستمتاع به، ولا يهمه صلاح أمره، ولا يفكر في العاقبة إلا إذا حل به العذاب والموت فيتبصَّر.

26- قال الله تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ۖ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا﴾[الكهف:56]، حجة العقول أقوى من بعثة الرسل، فالرسل تبعث للتبشير والإنذار، وتذكير الناس بموجبات العقول، والدعوة إلى مكارم الأخلاق، وإقامة القسط، بعد أن يفسد الناس، وينتشر الظلم في المجتمع الإنساني، وأغلب الرسل بعثهم الله إنذارا للمجرمين بالإهلاك والعذاب.

27- قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾[الكهف:57]، قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ ليس معناه أنه جعل ذلك عليهم ابتداء؛ وإنما بعد دعوتهم إلى القرآن ونفورهم منه، ومعاداتهم للنبي (ﷺ)، قال عز وجل: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا (46) نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا (47) انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا (48)﴾[الإسراء:46-48]، فالله تركهم لأعمالهم تلك حتى أغلقت قولبهم

وأصمت أسماعهم، فذلك ما كسبوه من أعمالهم، قال سبحانه: ﴿**إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (13) كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ (14)**﴾[المطففين:13-14].

28- قال الله تعالى: ﴿**وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا**﴾[الكهف:59]، الله لا يهلك القرى، ولا يعذب المجرمين؛ حتى يبعث إليهم رسلا ينذرونهم بحلول العذاب بهم إذا لم يؤمنوا ويصلحوا في الأرض، قال عز وجل: ﴿**وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ**﴾[القصص:59]، وقال سبحانه: ﴿**وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا (15) وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا (16)**﴾[الإسراء:15-16].

29- قال الله تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا**﴾[الكهف:60]، هذا يدل على أن السفر كان طويلا، والمسافة بعيدة.

اختلف المفسرون في تحديد (مجمع البحرين) جغرافيا، فقد ذكر المفسرون قديما عدة مجامع بحرية، وكلها غير مناسبة لهذه الأحداث وعناصر القصة في القرآن الكريم، إلا واحدة هي الأرجح بالنسبة لي، ومن هذه المجامع البحرية التي ذكروها: بحر الروم (البحر الأبيض المتوسط) مع بحر القلزم (البحر الأحمر)، وهذا لا يمكن اعتباره (مجمع البحرين)، لأن قناة السويس لم تفتح إلا حديثا، وقالوا بحر فارس والروم وهذا بعيد، وقالوا: خليج عمان مع الخليج العربي وهذا بعيد عن مسرح الأحداث كما تبينه القصة الواردة في القرآن الكريم، والعناصر المشكلة للقصة، إذا ما قارناها بالأوصاف الواردة في كتب التاريخ، وليس هو

البحر الأحمر مع المحيط الهندي، فعناصر القصة والأوصاف التي جاءت بها لم تكن موجودة بالمكان في هذا الزمان، فلم يبق لنا مما ذكروا إلا طنجة بالمغرب، وهي الأرجح أنها (مجمع البحرين)، حيث يلتقي عندها البحر الأبيض المتوسط مع المحيط الأطلسي، فعناصر القصة في القرآن الكريم، والأوصاف الواردة فيها تبين ذلك، كما سأذكر لاحقا في تدبري للآيات، وتأملي في هذه القصة.

30- قال الله تعالى: ﴿**فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا**﴾[الكهف:62]، المسافة التي قطعها موسى وفتاه في سفرهما طويلة، حيث المشقة والتعب في السفر دليل على طول المسافة، فلم يكن البلد الذي سافر إليه موسى (عليه السلام) وفتاه مجاورا للجغرافيا التي عاشا فيها، فهذا ما تفيده هذه الآية، مما يزيد تأكيدا أن (مجمع البحرين) بعيد عن المنطقة التي بعث فيها موسى (عليه السلام).

31- قال الله تعالى: ﴿**قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ ۚ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا**﴾[الكهف:63]، نسب موسى سبب النسيان إلى الشيطان، وذلك أن الشيطان يؤثر في بعض خصائص التفكير عند الإنسان عندما يكون الإنسان قاصدا الخير، أو يكون في موقف يحيط به الشر، كما قال عز وجل: ﴿**وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾[الأنعام:68]، وفي هذه الحالة أمر الله بالاستعاذة من الشيطان، قال سبحانه: ﴿**وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ۚ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾[الأعراف:200].

32- قال الله تعالى: ﴿**فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا**﴾[الكهف:65]، لقد خص الله بعض الناس بعلوم، وخص آخرين بعلوم، فالناس مواهب،

كل إنسان عالم بتخصصه، وكل الناس يكمل بعضهم بعضا، ويتعلمون من بعضهم البعض، قال عز وجل: ﴿**وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ**﴾[يوسف:76].

33- قال الله تعالى: ﴿**قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا**﴾[الكهف:66]، الإنسان مهما بلغ من درجات العلم؛ فإنه يبقى دائما محتاجا إلى من يعلمه ويرشده، فهذا نبي الله موسى (عليه السلام) بلغ من العلم مبلغا؛ إلا أنه كان في حاجة إلى من يعلمه علما آخر، ويرشده إلى معان أخرى، وهذه القصة عبرة لطلبة العلم.

34- قال الله تعالى: ﴿**قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (67) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا (68) قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا (69)**﴾[الكهف:67-69]، العلم يحتاج إلى صبر، ولا يصل إلى نتائج العلم من لم يصبر عليه، يجب عدم الاستعجال أثناء طلب العلم، فكل مسألة منه مُدرَكة؛ ما دام الصبر عليها حاضرا، فالذي يهم في مرحلة طلب العلم، هو الجد والصبر في إفادة المعلومات، أما ثمار العلم فتكون بعد ذلك.

35- قال الله تعالى: ﴿**قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا**﴾[الكهف:70]، كثرة السؤال تفسد المسألة، خاصة إذا كان الإنسان في طلب علم جديد، وكانت نتيجة المسألة لا تظهر إلى بعد الإفراغ من التعلم، لأن السؤال عن النتيجة قبل معرفة القواعد مربك للفهم ومعطل للعلم، فالمتعلم ما دام لم يحط علما بالمسألة فخير له أن يتبع معلمه حتى يدله على طريقة الاستنباط والاستنتاج، وهذا لا يعني عدم السؤال في العلم؛ فإن الإنسان يتعلم بالسؤال، لكن معنى ذلك أن لا يخرق السؤال مراحل التعلم، فيسأل المتعلم عن أنواع الثمار قبل تعلم كيفية الغرس.

36- قال الله تعالى: ﴿**فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا**﴾[الكهف:71]، هذه بداية صدمة العلم الأولى، فطلب العلم فيه صدمات، لذلك على طالب العلم أن يصبر عليها حتى يتعلم، وكان اعتراض الخضر على موسى؛ لأنه استعجل الجواب قبل موعده، فالمرحلة مرحلة التعلم، لا مرحلة السؤال، وكان اعتراض موسى من وجهة نظر أخلاقية؛ لانه خشي غرق من في السفينة، وهذا أمر لا تقبله العقول والنفوس والشرائع، لكن الخضر كان يعلم غاية الفعل؛ فهو انطلق من مبدأ علمي للوصول إلى مقصد أخلاقي آخر سيتضح فيما بعد.

37- قال الله تعالى: ﴿**قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا**﴾[الكهف:72]، كان الخضر يعلم بأن موسى لن يستطيع أن يصبر معه في مرحلة طلب العلم، لكنه مع ذلك يقوم بواجب التعليم، وهي المهمة التي كلف بها، وهكذا يجب أن يكون المعلم تجاه تلاميذه وطلابه، يقوم بواجبه حتى النهاية، رغم ما يجده من صعوبات تجاه المتعلم، وهذا ما يتبين بوضوح في قصة موسى مع الخضر.

38- قال الله تعالى: ﴿**قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا**﴾[الكهف:73]، هذا من تواضع المتعلم لمعلمه، والاعتراف بخطأه، وبفضل المعلم عليه، والثقة بعلمه، ما دام القصد هو التعلم، ويستفاد من هذا أن طالب العلم لا يقصد إلا المعلم والأستاذ الذي يثق فيه وبعلمه؛ رغم ما يمكن أن يجده من صدمات علمية أثناء مرحلة التعلم.

39- قال الله تعالى: ﴿**فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا**﴾[الكهف:74]، وهذه صدمة ثانية، وهي أكبر من الأولى؛ لأنها

متعلقة بقتل النفس، وهذا شئ منكر تأباه العقول والنفوس، وتحرمه الشرائع، فلم يستطع موسى أن يملك نفسه دون أن يعترض على هذا الفعل، ونسي أنه في مرحلة التعلم، وأن لهذا الفعل مقصدا يراه الخضر، فهنا نظرة موسى متعلقة بما هو أخلاقي وليس علميا، لكن الخضر كان له جواب آخر سيتضح فيما بعد.

40- قال الله تعالى: ﴿**قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا**﴾[الكهف:75]، يظهر من خلال قراءة هذه الآية أن هناك حالة انفعال، ونبرة زائدة عن ما هو موجود في الآية الأخرى، في قوله تعالى: ﴿**قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا**﴾[الكهف:72]، حيث نجد لفظة (لك) زائدة في هذه الآية؛ مما يفيد قوة في الخطاب، وحالة انفعال، وتوجيه لوم وعتاب، وهذا من بلاغة القرآن الكريم في نقل المشاعر، والحالات النفسية عن طريق كلماته وألفاظه، حتى إن القارئ يجد هذا الشعور في نفسه عند قراءته القرآن الكريم.

41- قال الله تعالى: ﴿**قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا**﴾[الكهف:76]، وذلك العتاب الذي جاء بالانفعال كان منبها لموسى، ومذكرا إياه بخطأه تجاه المعلم، فليس هذا ما يجب فعله أثناء طلب العلم، وكأنه أخذ قرارا في نفسه بأن لا يعود إلى ذلك، وأنه سيصبر معه حتى النهاية، فيكفيه ما بدر منه أولا وثانيا، وأنه لم يبق للخضر عذر لمصاحبته؛ فقرر أنه إذا سأل بعد هذا تكون نهاية مصاحبته، وقطع لذلك عهدا.

42- قال الله تعالى: ﴿**فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا**﴾[الكهف:77]، يفهم من الآية أن عدم استضافة أهل القرية لهما، و إطعامهما الطعام؛

ليس لقلة الطعام وإنما لشحهم وبخلهم، فالآية تقول إنهم أبوا ذلك، وهذا لا يكون إلى بوجود الشئ، لأن الإنسان لا يأبى فعل الشئ إلى مع توفره، والقدرة عليه، فأهل القرية هنا أجمعوا على هذه الخصلة الذميمة، وهي الشح والبخل، فاتصفوا بهذا الخُلق الذميم جميعا.

وقوله: ﴿**فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا**﴾، هنا كأن موسى أراد أن يستفيدا الأجرة لشراء الطعام، أو أن ينالوا طعاما مقابل هذا العمل، ولعل موسى رأى أن الظرف لا يسمح بالتطوع في هذا العمل، وهما في حاجة إلى طعام، ثم إن أهل القرية أبوا أن يضيفوهما ويطعموهما، لكن الخضر كان عالما بعمله هذا، وماذا يقصد به.

43- قال الله تعالى: ﴿**قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا**﴾[الكهف:78]، هنا التزم الخضر مع العهد الذي قطعه له موسى في أن لا يصحبه إذا سأل مرة أخرى؛ حينما كان قد سأله عن قتل الغلام، فعاتبه الخضر على سؤاله، وقطع موسى حينها عهدا بأن لا يسأل مرة أخرى؛ لكنه لم يصبر على ذلك فأخل بعهده، فتبين للخضر جليا عدم صبر موسى على طلب العلم، هذا العلم الجديد، المستعصي عن الفهم، الذي لا معرفة لموسى به، وأنه لا بد وأن تكون هذه هي نهاية مصاحبته له، وقد حان موعد إجابته إياه على أسئلته الثلاث، وتأويله تلك الأفعال التي قام بها الخضر، ليتبين لموسى مقاصدها.

44- قال الله تعالى: ﴿**أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا**﴾[الكهف:79]، يفهم من الآية أن هذه السفينة كانت تستخدم في التجارة ونقل المسافرين، ولم تكن للصيد أو لعمل قار، وأن

موسى والخضر كانا مسافرين لبلد، فركبا في هذه السفينة، وأرجح أن مجرى هذه الأحداث كانت في ساحل البحر الأبيض المتوسط جنوبا، ففي هذا الحوض كانت توجد ممالك ودول، منها مملكة الرومان ومملكة القرطاجيين وممالك الأمازيغ وغيرها من المجتمعات، وكان بعضهم يقطعون الطرق البحرية ويأخذون السفن، وهذا ما يفيدنا في تفسير معنى (مجمع البحرين)، الذي هو ملتقى البحر الأبيض المتوسط، والمحيط الأطلسي، عند طنجة بالمغرب، كما ذكرت في تفسير الآية:60 من سورة الكهف.

وقد دلت على هذا ثلاث قرائن: واحدة جغرافية وهي التقاء البحر الأبيض المتوسط مع المحيط الأطلسي. وثانية سياسية وهي وجود ممالك ودول في ساحل البحر الأبيض المتوسط، وكانت كلها تريد السيطرة على هذا البحر، وعلى طرقه التجارية البحرية، وكان الملوك يأخذون السفن التجارية التي تبحر فيه. وثالثة اقتصادية وهي وجود سفن للتجارة والنقل، حيث المنطقة المتوسطية كانت تشهد هذه الحركة التجارية، بين الشرق والغرب، والشمال والجنوب، فقد استغل الفينيقيون قديما هذا البحر لأغراضهم التجارية، واستمر بعدهم هذا النشاط التجاري الذي كان يقوم به شعوب ساحل البحر الأبيض المتوسط، وهذه الصورة المتمثلة بهذه الهيأة الجغرافية والسياسة والاقتصادية لم تكن إلا في هذه البقعة من الأرض في ذلك الزمان، فلا يمكن أن يكون بهذا الاعتبار (مجمع البحرين) هو جنوب سيناء عند البحر الأحمر كما ذهبت بعض الدراسات الحديثة؛ لأن قول موسى كما أخبر الله تعالى عنه: ﴿**وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا**﴾[الكهف:60]، يفيدنا هذا أن السفر كان بعيدا، والمسافة طويلة، وأيضا كان السفر شاقا ومتعبا كما أخبر الله بذلك: ﴿**فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا**﴾[الكهف:62]، فدل كل هذا على أن البلد الذي سافر إليه موسى (عليه

السلام) هو وفتاه؛ كان بعيدا، ولم يكن مجاورا للمنطقة التي عاشا فيها، ثم إن الاتجاه الذي يمكن أن يسلكه حسب هذا الوصف (مجمع البحرين) لا يمكن تحديده إلا في اتجاه الغرب، حيث كان يعرف في الزمان القديم أن آخر الأرض هو عند البحر الأطلنطي؛ الذي يلتقي معه بحر الروم، مما يعطي شهرة للمكان فيتوجه التفكير إليه، وليس شرقا أو شمالا أو جنوبا؛ حيث عدم وجوده جغرافيّاً شرقا وشمالا، ولا وجوده سياسيا واقتصاديا جنوبا، فانعدم بهذا اجتماع هذه العناصر المتمثلة في الجغرافيا والسياسية والاقتصاد في مكان غير طنجة بالمغرب؛ كما يمكن استفادته من من خلال القصة الواردة في القرآن الكريم، والتاريخ المكتوب عن مسرح الأحداث في هذه المنطقة، والله أعلم.

45- قال الله تعالى: ﴿**وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا**﴾[الكهف:80]، يعترض بعض الملحدين على هذه الحادثة، ويقولون كيف يحق للخضر قتل الغلام، كما في الآية الأخرى: ﴿**فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا**﴾[الكهف:74]، ويرون أن هذه جريمة، لكن المتدبر للآيتين، والمتحقق من معانيهما، ودلالات ألفاظهما، يرى أن الغلام لم يكن صغيرا، بل كان ذكرا بالغا، ونجد في المعجم معنى الغلمة والغلام: "الغلمة: هيجان شهوة النكاح من المرأة والرجل وغيرهما"[1]، و"الغلام الطَّارُّ الشَّارِبِ؛ وقيل: هو من حين يولد إلى أن يشيب"[2]، فتبين أن الغلام قد يكون ذكرا كبيرا بالغا، وفي الشرائع الدينية لا يمكن قتل إنسان صغير لم يبلغ بعد، ولم يصل إلى مرحلة التكليف، بينما كان هذا الغلام بالإضافة إلى بلوغه؛ طاغيا وكافرا، وقد تحدث القرآن في هذا الأمر وجاء بكلمة الإرهاق؛ مما يعني أنه كاد أن يرهق أبويه بطغيانه وكفره، فأراد الله أن يخلصهما من شره، ويبدلهما خيرا منه، وهذا

[1] لسان العرب، ابن منظور، الناشر: دار المعارف، مادة: (غلم)، المجلد:5، ص:3289.
[2] المصدر نفسه.

من رحمة الله بهما، فقتل الخضر للغلام كان أمرا من الله؛ عقابا له، وتخليصا لأبويه من شره، ومن ظلمه وكفره وإرهاقه، فالمسألة ينظر إليها بهذا المعنى لا بالمعنى الذي أراده الملحدون، ثم إن الحادث أمر من الله لنبيه، ولا يحق للإنسان العادي فعل هذا؛ لأنه ليس يوحى من الله إلى أحد فعل شئ غير الأنبياء.

46- قال الله تعالى: ﴿**فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا**﴾[الكهف:81]، لم يكن الغلام زكيا في نفسه، ولا رحيما بأبويه، بل كان فاجرا ظالما، ولهذا استحق القتل، وقد يقول قائل: لماذا لم يصلحه الله بدل أن يبدل بآخر خير منه؟ الجواب على هذا هو: أن عقاب الله لا يكون إلا بعد الدعوة إلى الإيمان والفضائل، وواضح أن الغلام لم يلتزم بها بعد الدعوة إليها، فساقته نفسه إلى الكفر والطغيان والرذائل؛ مما أوجب قتله بعد ذلك، ولعل الغلام كان من قوم الخضر الذين بُعث فيهم، فيكون عاقبه وفق شريعته.

47- قال الله تعالى: ﴿**وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا**﴾[الكهف:82]، قد يكون أبوهما هو الذي دفن الكنز وخبأه لهما حتى يكبرا، ودعا الله أن لا يظهر أمره، ولا يكشف سره؛ حتى يكبر الغلامان فيستخرجا كنزهما، وقد كان أبوهما صالحا فاستجاب الله دعوته في تحقيق هذا الأمر، ولما كان الجدار على وشك الانهيار، سخر الله الخضر فأقامه ومنعه من أن ينقض، وذلك حتى يحفظ ما تحته من التلف، أو السرقة.

وقوله تعالى: ﴿**فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا**﴾، يستفاد منه أنه لا يكون دفع المال لليتامى إلا إذا يبلغوا أشدهم، وهذه قاعدة فقهية في أموال اليتامى، كقوله عز وجل: ﴿**وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ**﴾[النساء:6]، وعلة ذلك، أن الإنسان لا يحسن التصرف في المال إلا إذا كان راشدا، وهي مرحلة الكبر، وبلوغ الأشد.

48- قال الله تعالى: ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا**﴾[الكهف:83]، الراجح أن ذا القرنين هو كورش الفارسي الأخميني، فجميع المعلومات التاريخية والآركيولوجية إذا عززنا بها التفسير القرآني سوف تفضي بنا إلى هذا اختيار هذا الشخص، يمكن الرجوع إلى التفاسير الحديثة في هذا الموضوع.

49- قال الله تعالى: ﴿**إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا (84)**﴾[الكهف:84-85]، مكنه الله في الأرض، وآتاه من كل وسائل العلم والقوة، ويسر عليه أمور الحكم والفتح، وذلك أنه أراد نصرة الحق وإقامة العدل، ومن في هذه الحال فإن الله ينصره ويمكنه في الأرض ويؤتيه من كل وسائل العلم والقوة والانتصار، قال عز وجل: ﴿**وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (40) الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ (41)**﴾[الحج:40-41].

وقوله تعالى: ﴿**فَأَتْبَعَ سَبَبًا**﴾ أي وسيلة وخطة هيأ الله له سبيلها، ويسرها له، حتى يصل غايته.

50- قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾[الكهف:86]، ذهب جهة المغرب، إلى أن وصل إلى عين فيها ماء، إما أن تكون بحرا أو نهرا أو بحيرة أو منبعا، و(حمئة) لها معنيان ساخنة وطينية، وكان حينها وقت الغروب، وكان الناس قرب العين أو داخلها، وهذا ما نفهمه من (ووجد عندها قوما)، فالضمير هنا عائد إلى العين وليس إلى الشمس كما في الخرافات التي حيكت حول هذه القضية المتعلقة بغروب الشمس في (عين حمئة)، وقد يكون معنى: ﴿وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا﴾، أي وجد عند غروب الشمس قوما، فيكون (عندها) هنا جاءت ظرف زمان.

وقوله تعالى: ﴿قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ يفيد أن هؤلاء القوم كان فيهم ظلم، وبعد عن العدل، فأراد الله أن يصلحهم بذي القرنين، وربما جاءهم بشريعة لرسول كان ذو القرنين متبعا شريعته.

51- قال الله تعالى: ﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا (87) وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا (88)﴾[الكهف:87-88]، هذا هو القرار الذي اتخذه فيهم، وهو معاقبة الظالم، ومجازاة المحسن منهم، ويستفاد من قوله: (وَأَمَّا مَنْ آمَنَ) أن ذا القرنين جاءهم يدعوهم إلى الإيمان، وهذا ما يؤكد قولي السابق أنه كان متبعا لشريعة رسول.

52- قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾[الكهف:90]، هنا تكلم عن مطلع الشمس لا مشرق الشمس؛ مما يعني أنه لم يذهب جهة المشرق، وأنه في الأرجح ذهب جهة الشمال، حيث البلاد التي

تبقى فيها الشمس طالعة أشهرا عديدة؛ لا تغيب عنها، ومعنى: (لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا) أي لم نجعل لهم ليلا ساترا من الشمس، وتقول العرب: "مد الليل سِتاره"، أي انتشر ظلامه، وتلك طبيعة هذه البلاد، يكون فيها نصف السنة نهارا، ونصفها ليلا.

53- قال الله تعالى: ﴿**كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا**﴾[الكهف:91]، أي أحطنا به علما، وعلمنا بشؤونه كلها.

54- قال الله تعالى: ﴿**حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا**﴾[الكهف:93]، أي بلغ بين جبلين، ووجد قوما يسكنون قربهما.

ومعنى: ﴿**لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا**﴾ أي لم يكن لهم علاقة بالشعوب الأخرى وبحضاراتهم، مما أفقدهم معرفة اللغات الأخرى لأجل التواصل، فقد كانوا قوما بدائيين لا يعرفون منطق الشعوب ووسائل الحضارة والاتصال.

55- قال الله تعالى: ﴿**قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا**﴾[الكهف:94]، الراجح أن هذا السد في مضيق بجبال القوقاز، وهناك سد يعرف بسد كورش، وهو ردم بناه الملك كورش الموصوف بذي القرنين، لتخليص قوم من عدوان أقوام أخرى خلف السلسلة الجبلية، كانت تتخذ هذا المضيق ممرا للهجوم والاعتداء عليهم، والإفساد في الأرض.

ومعنى: ﴿**فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا**﴾ أي أنهم أرادوا أن يخصصوا له أجرا، من مال أو مما تنبت الأرض؛ مقابل عمله هذا.

56- قال الله تعالى: ﴿**قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا**﴾[الكهف:95]، أبى ذو القرنين أن يأخذ منهم شيئا؛ لأنه أراد جزاء الله وثوابه، فهو خير، كما أن الظاهر من حالهم التي صورها القرآن؛ أنهم قوم ضعفاء لا يقدرون على شئ، فهم يستحقون من يتفضل عليهم بالمن والعطاء لا أن يؤخذ منهم الخراج، فيكفيهم أن يساعدوه بالجهد والقوة لبناء هذا الردم، وهذا أحد مواقفه التي تبين عدله.

57- قال الله تعالى: ﴿**آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا**﴾[الكهف:96]، هذه الصناعة الثقيلة وهذه الهيئة في إنشاء السدود؛ تبين أن ذي القرنين ينتمي إلى دولة قوية، وحضارة عظيمة، لذلك أرجح أنها دولة فارس، فهي التي كانت على هذه المكانة، هذا ما نستخلصه من قصة ذي القرنين الواردة في القرآن، بالإضافة إلى القرائن التاريخية التي تؤرخ لعهد هذه الدولة.

58- قال الله تعالى: ﴿**فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا**﴾[الكهف:97]، لم يستطيعوا أن يصعدوه أو يحفروه لارتفاعه وقوته، ثم إنه سد أغلق ممرا في سلسلة جبلية وعرة، لا يمكن اجتيازها إلى ما بعدها إلا من خلال هذا الممر الضيق، وهذا ما ينطبق على مضيق بسلسلة جبال القوقاز حيث سد كورش.

59- قال الله تعالى: ﴿**قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ۖ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا**﴾[الكهف:98]، لقد أرسل الله ذا القرنين رحمة منه لتخليص هؤلاء القوم من شر يأجوج ومأجوج، وصدهم عنهم، حتى يعيشوا بأمن وسلام، فإذا جاء موعد انهدام السد؛ فإنه سينهدم بإذن الله، ويصبح حطاما.

60- قال الله تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾[الكهف:99]، أي ترك يأجوج ومأجوج في حروب وصراع مع بعض، وهم قبائل المغول، الذين كانوا همجيين، يهجمون على القبائل والأقوام الأخرى، فحدثت بينهم العداوة، ووقع بينهم الصراع، فافترقوا إلى قبائل يغزو بعضهم بعضا، ويقاتل بعضهم بعضا، حتى جمعهم جنكيز خان ووحد قبائلهم، وهجم بهم على الشعوب الأخرى، ومنهم المسلمين وأبادوا كثيرا منهم، وأفسدوا في الأرض فسادا، وذلك ما يشهد به تاريخ المغول والتتار. أو أن معنى الآية ترك البشر جميعا في صراع بعضهم مع بعض، ولما جاء موعد يوم القيامة جمعهم جميعا للحساب والجزاء.

61- قال الله تعالى: ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا﴾[الكهف:100]، يستفاد من هذا أن الكافرين تعرض عليهم جهنم قبل أن يلقوا فيها، وهذا أحد أنواع العذاب، وهو عذاب نفسي قبل العذاب البدني.

62- قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾[الكهف:101]، لم يكونوا يعتبرون بما أبصروا، ولا يسمعون لمن يدعوهم إلى الاعتبار والهداية، كما قال عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (6) خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (7)﴾[البقرة:6-7]، فهم لم يُجبَروا على عدم تفعيل البصر والسمع للاعتبار والهداية إبتداء؛ بل تركهم الله لعماهم وصممهم، وحكم أن لا ينالهم خير مما دعوا إليه.

63- قال الله تعالى: ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ ۚ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا﴾[الكهف:102]، يستفاد من هذا —إضافة إلى عبادة الكافرين

لغير الله- أن عباد الله المقربين لا يمكن اتخاذهم أولياء من دون الله، ودعوتهم وطلب الخير منهم من دونه، قد يتوسل إلى الله تعالى ببعض الصالحين، لكن لا يجوز دعوتهم والطلب منهم، فهذا من خصائص الألوهية؛ وهي لله وحده لا شريك له، ويعاقب الله من اتخذهم من دونه ملجأ.

64- قال الله تعالى: ﴿**قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (103) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (104) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا (105) ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا (106)**﴾[الكهف:103- 106]، لم تنفعهم أعمالهم التي ظنوا أنها أعمال حسنة، وأنها ستنفعهم، كمن يعملون في الحياة الدنيا بغير المنهج الذي أراده الله فيها، ويظنون أنهم في غنى عن الله ودينه، وأن العلم والقوة والتقنية هي التي تحدد مصير الإنسان، فكفروا بأنعم الله، وجحدوا بآياته، وضلوا في حياتهم الدنيا، وخسروا الآخرة، وحبطت أعمالهم؛ فكانت عند الله كالهباء المنثور، قال الله عز وجل: ﴿**وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا**﴾[الفرقان:23].

65- قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا (107) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا (108)**﴾[الكهف:107-108]، جعل الله جنة الفردوس للذين آمنوا وعملوا الصالحات، وهم مقابل الذين كفروا وعملوا السيئات، ويتبين من الآية أن الجنة لا تنال إلا بالإيمان والعمل الصالح، وأن الإيمان وحده غير كاف.

66- قال الله تعالى: ﴿**قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا**﴾[الكهف:109]، كلمات الله تابعة لعلمه، وعلمه تعالى

لا ينتهي، ولا يحد بزمان ولا مكان ولا عدد ولا صفات، فهو مطلق، فلو أن ما في الأرض من أشجار صُنِعت منها أقلام، وجُعِلت الأبحر السبعة مدادا، وكتبت بها كلمات الله سبحانه لما نفدت، كما قال عز وجل: ﴿**وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾[لقمان:27]، وهذا أمر يذهل العقول.

67- قال الله تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا**﴾[الكهف:110]، وهذه هي حقيقة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)، أنه بشر ممن خلق، إلا أنه رسول من الله إلى الناس جميعا، وأنه يوحى إليه من الله لدعوتهم إلى التوحيد، وهدايتهم إلى العمل الصالح، وإرشادهم إلى صراط الله المستقيم، وتبشيرهم بالجنة، وإنذارهم من النار، وهو مع صفاته البشرية رحمة للناس جميعا، قال عز وجل: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**﴾[الأنبياء:107]، وهو أيضا على خلق عظيم، قال تعالى: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾[القلم:4]، وبهذا كمل على سائر البشر (صلى الله عليه وسلم).